الإسلام والرسالة

الرسالات والرسل ومحمد ﷺ:

خلق الله الناس وفطرهم على الإيمان به، وجعل في طبائعهم من الغرائز والميول ما لا يعرض حياتهم للانحراف عن الحق تحت تأثير الأهواء والنزعات المختلفة قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (الروم: ٣٠).

وقال رسول الله ﷺ: «**كل مولود يولد على الفطرة وأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**»[1].

وذلك هو العهد الذي أخذه الله على بني آدم، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ (الأعراف: ١٧٢)، فاقتضت حكمة الله تعالى أن يصطفى من عباده رسلا يردون الناس إلى فطرتهم، ويرشدونهم إلى دين الله والاهتداء بهديه سبحانه وتعالى حتى تقوم عليهم الحجة، قال سبحانه وتعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾ (النساء: ١٦٥).

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب الجنائز حديث رقم (١٢٩٦) دار الفكر، صحيح مسلم كتاب السنة رقم (٤٠٩١).

وكانت رسالة كل رسول قاصرة على قومه خاصة في إصلاح ما فسد من عقائدهم وأخلاقهم والعمل على تهذيب نفوسهم وأرواحهم، بإرجاعهم إلى فطرة التوحيد ودين الحق.

فلما نضج العقل البشري، وتعقدت أمامه مشاكل حياته، أذن الله بفجر دين جديد يلقي أضواءه على جوانب الحياة كلها ليكتمل صرح الحضارة الإنسانية التي بناها رسل الله، فكان هذا الدين هو الإسلام ورسوله محمد ﷺ، قال ﷺ: «**إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له، ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟ فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين**»[1].

وأخذ الله على أنبيائه بذلك العهد والميثاق، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ (آل عمران: ٨١).

فالوحي الإلهي المتتابع يمثل نهراً تكونت له روافد، وتفرعت منه جداول تروى ما يذبل من آيك[2] العقيدة، وما يجف من أعواد الفضيلة، لتبقى خصائص الإنسانية البناءة في ازدهار ونمو تؤتي أكلها ـ لخير الناس ـ كل حين بإذن ربها.

وينبع هذا النهر ويفيض خيره حيث يرسل الله ملائكته سفراء إلى رسله، وقد انتهى مصب هذا الماء الغدق برسالة محمد ﷺ نبي الإسلام.

---

(١) صحيح البخاري باب المناقب (٣٣٤١/١٦، ٣٣٤٢) ـ وصحيح مسلم كتاب الفضائل باب (٧) ص ٢٣/٢٠.

(٢) الآيك: الشجر الكثيف الملتف.

والقرآن الكريم يحكي خصوصية رسالات الأنبياء السابقين.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ ﴾ (هود: ٢٥).

وقال سبحانه: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ (هود: ٥٠).

وقال عز وجل: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ ﴾ (هود: ٦١).

وقال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ ﴾ (هود: ٨٤).

وقال سبحانه: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾ (الأعراف: ٨٠).

وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ (الأعراف: ١٠٣).

وقال في شأن عيسى: ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ (آل عمران: ٤٩).

ولكن رسولنا محمد ﷺ يعلن عالمية دعوته، وعموم رسالته ونبوته للعالمين، وختمه للنبيين فقال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ (الفرقان: ١).

وقال سبحانه: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الأنبياء: ١٠٧).

openkanal.com

وقال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (الأعراف: ١٥٨).

وقال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ (الأحزاب: ٤٠).

وقال ﷺ: «كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة»[1].

(١) صحيح البخاري أوائل التيمم (ح ٣٢٨) والصلاة باب ٢٣ (ح ٤٢٧) ومسلم أوائل الصلاة (٣) ـ وانظر تاريخ التشريع الإسلامي، مناع القطان، طبعة مؤسسة الرسالة ص ١٦-١٨.

obeikandl.com

السنة

تعريف السنة ومعناها:

السنة مصدر للدين، عقيدة، وشريعة، وأخلاقاً، وآداباً، وفضائل، وعلوماً، ومعارف.

ويستمد منها الأحكام التكليفية الخمسة فهي: تأمر بالواجب، وتحض على المندوب ـ السنة في عرف العامة ـ وترشد إلى المباح، وتحذر من المكروه وتنهى عن الحرام وهذا التعريف اتفق عليه علماء الشريعة جميعهم[1].

السنة عقيدة وشريعة:

للإسلام أركان خمسة، فمن عرف حدودها وصدق بها وعمل بما تقتضيه من الأعمال، كان ممن قال عنهم الله عز وجل: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (الأنفال: ٤).

لكن اقتضت حكمة الله تعالى ـ تيسيرا على عبادة وتفضلاً عليهم ـ أن يجعل الباب الذي يلجه العباد إلى الإيمان دون ذلك التفصيل، فاكتفى منهم بالإجمال الذي يندرج تحته التفصيل: فقبل منهم في مبدأ الأمر أن يقروا بألسنتهم وقلوبهم بأن الله سبحانه هو ربهم ومعبودهم بحق، دون سواه، وأن محمداً ﷺ هو رسول الله، وأن جميع ما جاء به من عند ربه حق وصدق والعمل به واجب، وجعل لذلك عنواناً، وهو الكلمة الطيبة «**لا اله إلا الله محمد رسول الله**».

---

(١) حجية السنة أ. د / الحسين شواط، ص (٢٢) ـ طبعة الجامعة الأمريكية المفتوحة.

فمن قال هذه الكلمة بلسانه، وصدق بها بجنانه، ولم يقرنها بما ينقضها من القول أو العمل أو الاعتقاد، دخل في دين الله، وفارق الكفر الذي كان عليه[١].

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**بنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا اله إلا الله وأن محمد عبده ورسوله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت وصوم رمضان**»[٢]، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما قدم وفد عبد القيس على رسول الله ﷺ وسألوه عن أمر نعمل به وندعوا من وراءنا، قال ﷺ: «**الإيمان بالله ـ وفسرها ـ فقال لهم شهادة أن لا اله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة..**»[٣]، وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من شهد أن لا اله إلا الله وأن محمداً رسول الله حرم الله عليه النار**»[٤].

ولا يكفى للدخول في الإسلام مجرد النطق بإحدى الشهادتين بل لابد منهما سوياً، ولا خلاف بين العلماء أن النطق بالشهادتين والتصديق بهما لا يكون منجيا من الخلود في النار وكافيا في دخول الإيمان والإسلام، إذا كانا مقترنين بما ينقضهما أو ينقض أحدهما: فلا يحكم بإيمان إنسان جاء يقول: أقر أن لا اله إلا الله وأن محمد رسول الله ولكن لا أعترف بوجوب الزكاة والحج، أو بحرمة الزنا أو الربا أو غير ذلك من أحكام الإسلام التي أخبر بها القرآن أو الرسول محمد ﷺ[٥].

---

(١) كتاب الإيمان ـ أركانه ـ حقيقته ـ نواقضه ص ١٣٦، ١٣٧، دار الفرقان للنشر والتوزيع.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (١/١٧٧)، دار إحياء التراث العربي.

(٣) المصدر السابق، (١/١٨٣).

(٤) المصدر السابق (١/٨٣).

(٥) كتاب الايمان أركانه وحقيقته ونواقضه ص ١٣٨.

أو يقول: أقر أنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ولكني أعتقد أنها كانت خاصة بقوم أو بجيل معين أو زمن فإن نطقه بالشهادتين لا يكون كافياً لاعتباره مسلماً، فلابد مع هذا الإقرار أن يقر بأن محمداً رسول الله إلى الناس أجمعين، وبعموم رسالته ﷺ إلى يوم الدين، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ (الأعراف: ١٥٨).

وقال عز وجل: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ (الأعراف: ١٥٨).

وليس مؤمناً من قرن إقراره بالشهادتين بتفسير خاص لهما يؤول إلى إنكار توحيد الله في بعض صفاته وأسمائه، أو أقر بهما وهو ينكر بعض القرآن ولو آية أو كلمة أو حرفاً، فلا تنفعه الشهادتين، وقد جاء معهما بما يكذب به القرآن أو الرسول ﷺ[1].

لا إله إلا الله محمدا رسول الله منهج حياة:

العبودية لله وحده هي شطر الركن الأول في العقيدة الإسلامية المتمثلة في شهادة أن لا اله إلا الله، والتلقي عن رسول الله ﷺ في كيفية هذه العبودية هو شطرها الثاني المتمثل في شهادة أن محمداً رسول الله.

إنها القاعدة التي يرجع إليها الأمر كله، عبودية لله وحده واتباع لرسوله، قاعدة المنهج الذي يحكم الحياة، قاعدة كل حركة يتحركها المؤمن هنا وهناك.

الإيمان بالله هو إفراده ـ سبحانه ـ بالألوهية والربوبية والعبادة، ومن ثم إفراده بالسيادة على ضمير الإنسان وسلوكه في كل أمر من أمور الحياة لا شريك له في

(١) كتاب الإيمان ـ أركانه ـ حقيقته ـ نواقضه، ص ١٣٧-١٤٢.

الخلق ولا شريك له في تصريف الأمور، ولا يتدخل في تصريف الكون والحياة والأمور كلها احد، ولا يتم شيء في هذا الوجود صغيرٌ أو كبيرٌ إلا ما يأذن به سبحانه ويرضاه.

فلا يستحق العبادة إلا هو وحده، فلا عبادة إلا لله ولا أتباع إلا لمن جاء بشرعه، والتلقي منه في كل أمر، فلا إسلام بلا طاعة وإنفاذ لمنهجه في الحياة.

وهكذا تتلقى الأمة المسلمة تراث الرسالة كله، بالصورة التي اختارها سبحانه وجعلها صلة بين العبد وربه[1].

ومن ثم تتمثل هذه العبودية في الاعتقاد كما تتمثل في الشعائر التعبدية، كما تتمثل في الأخلاق، والآداب والمعاملات كل ذلك سواء.

فليس عبداً لله وحده من لا يعتقد بوحدانية الله ـ سبحانه ـ قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ۝ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ۝ ﴾ (النحل: ٥١، ٥٢).

وليس عبداً لله وحده من يقوم بالشعائر التعبدية لأحد غير الله ـ معه أو من دونه ـ قال تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝ ﴾ (الأنعام: ١٦٢، ١٦٣).

وليس عبداً لله وحده من يتلقى الشرائع والأوامر والنواهي من أحد سوى الله تعالى عن الطريق الذي بلغنا الله به، وهو رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿ أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةُ ٱلۡفَصۡلِ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝ ﴾ (الشورى: ٢١).

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، بتصرف، دار الشروق بيروت، (١/٣٤١-٣٤٢).

وقال تعالى: ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾ (الحشر: ٧).

هذه هي شهادة أن لا اله إلا الله وأن محمداً رسول الله، استسلام تام في النفوس وفي المشاعر والعبادة والتعامل مع جميع الحقائق في الكون ـ غيبه وشهوده ـ فلا إسلام ولا إيمان ـ ابتداء ـ إلا أن يسيروا على منهج الله متمثلاً في حياة الرسول ﷺ في أحكام الرسول ﷺ باقياً بعده في مصدريه القرآن والسنة، ولا يكفى أن يتحاكموا إليه ـ ليحسبوا مؤمنين ـ بل لابد من أن يتلقوا حكمه مسلمين راضين، قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ (النساء: ٦٥).

فهذا هو شرط الإيمان وحد الإسلام، أن تطيع الله عز وجل «في القرآن» وأن تطيع رسول الله ﷺ في سنته، إقرار للشهادة بشطريها بألسنتهم، وإقرارها في ضمائرهم ومشاعرهم وفي أوضاعهم وواقعهم، فحينئذ يكون للمؤمنين بهذه العقيدة سلطان على أنفسهم وضمائرهم وأخلاقهم وتعاملاتهم مستمداً من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ[1].

يقول الحافظ بن كثير في تفسيره لهذه الآية: يقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتى يحكم رسول الله ﷺ في جميع الأمور، فما حكم به فهو

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، بتصرف، (ج ٢-٦٨٧).

الحق الذي يجب الانقياد له باطناً وظاهراً، ولهذا قال سبحانه وتعالى: ﴿ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾.

أي: إذا حكموك، أو رجعوا إلى ما حكمت في كل قضية، يطيعون في بواطنهم فلا يجدون في أنفسهم حرجاً مما حكمت به، وينقادون له في الظاهر والباطن فيسلمون لذلك تسليماً كلياً من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة[1].

على أن يكون هذا الاعتقاد وهذا الإتباع نابع من القلب مع الإقتناع الكامل بأن هذا الدين وهذا المنهج هو خيرٌ للبشرية جمعاء، لأن الذي كتبه علينا وأنزله إلينا هو الله وهو الخالق وهو العليم الخبير بما خلق وبما فرض، قال تعالى: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ (الملك: ١٤).

فهو الذي يعلم أحوال خلقه وما يصلح معاشهم ومعادهم، وما يحقق لهم الخير في دنياهم وأخراهم، وهو العليم الخبير.

وهنا الإسلام والدين يسألان كما في قوله تعالي: ﴿ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ﴾ (البقرة: ١٤٠).

ويجيب: ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾ (البقرة: ٢١٦)، وقال تعالي: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ (الإسراء: ٨٥).

ودين الله تعالي ليس غامضاً، ومنهجه للحياة ليس مائعاً، إنما هو محدد بشطر الشهادة الثاني (محمد رسول الله) فهو محصور فيما بلغه رسول الله ﷺ قرآناً وسنة، قال تعالى: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ (النساء: ٥٩).

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (ح ٤٩٣/١)، دار الحديث ـ القاهرة.

وبهذا يبقي المنهج الرباني مهيمناً على ما يطرأ على الحياة من مشكلات وأقضية كذلك أبدا مدى الدهر، وتمثل هذه القاعدة نظام حياة الأمة المسلمة الأساسي الذي لا تكون مؤمنة إلا به، ولا تكون مسلمة إلا بتحقيقه، إذ هو يجعل الطاعة ورد المسائل التي تجد وتختلف فيها وجهات النظر إلى الله ورسوله، شرطاً واضحاً ونصاً صريحاً، قال تعالي: ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ (النساء: ٥٩)[١].

ما ينقض الشهادة بشطريها:

ومن هنا نعلم أن الأمور التي تكون سببا في نقض الشهادة بشطريها وتكون سببا في الخروج من دين الله عز وجل تتنوع إلى أنواع جميعها يرجع إلى القاعدة العامة، وكل نوع يدخل فيه صور وتفصيلات كثيرة ولكن تلك الأنواع يمكن حصرها في أربعة أنواع:

١- نوع يتضمن إنكار الربوبية أو الطعن فيها.

٢- نوع يتضمن الطعن في أسماء الله وصفاته.

٣- نوع يتضمن الطعن في الألوهية.

٤- نوع يتضمن إنكار الرسالة أو الطعن في صاحبها سيدنا محمد ﷺ أو إنكار شيء منها.

فهذه أربعة أنواع يدخل في كل واحدة منها صورٌ من الأفعال والأقوال والاعتقادات يعود جميعها على الشهادتين بالنقض، وتخرج صاحبها من الإسلام والعياذ بالله[٢].

---

(١) في ظلال القرآن بتصرف سيد قطب (٢/٦٨٧-٦٨٨).

(٢) الإيمان أركانه ـ حقيقته ـ نواقضه ـ أ.د/ محمد نعيم ياسين، ص ١٤٥، ١٤٦، ١٥٦.

ما ينقض الشطر الثاني من الشهادة:

إن ما نتناوله في موضوعنا هذا هو الشطر الثاني من الشهادة وهو (وأن محمد رسول الله) وما ينقضه: هو كل قول أو فعل أو اعتقاد يتضمن الطعن في الرسالة أو صاحبها ﷺ لأن ذلك نقضٌ في شهادة أن محمد رسول الله، لأن هذه الشهادة تعني التصديق بكل ما ثبت عن رسول الله أنه حق وصدق وأن محمداً ﷺ أهَّله ربه وحلاه بجميع الصفات التي تمكنه من أداء الرسالة وتبليغها على أتم وجه[1].

نواقض الشطر الثاني من الشهادة أحد أمرين أو كلاهما:

أولاً: الطعن في رسول الله ﷺ.

ثانياً: إنكار بعض ما أخبر به رسول الله ﷺ أو الطعن فيه.

ويدخل في الأمر الأول نسبة أي شيء للرسول ﷺ مما يتناقض مع اصطفاء الله له لتبليغ دينه إلى عباده ويكفر كل من طعن في صدق الرسول ﷺ أو أمانته، أو عفته أو صلاح عقلة ونحو ذلك.

وأيضاً يكفر من سب الرسول ﷺ أو استهزأ أو استخف بتصرف من تصرفاته الثابتة الصحيحة.

ويدخل في الأمر الثاني إنكار أي أمر من الأمور التي أخبر بها.

فيكفر من أنكر ما أخبر به الرسول ﷺ وثبت عنه من أمور البعث والحساب والميزان والصراط والجنة والنار ونحوها من الغيبيات[2].

---

(١) كتاب الإيمان ـ أركانه ـ حقيقته ـ نواقضه ـ أ. د/ محمد نعيم ياسين ص ١٤٥، ١٤٦، ١٥٢.

(٢) المصدر السابق ص ١٥٢.

ويكفر أيضاً من أنكر شيئاً من القرآن مهما كان، لأن جميع آيات القرآن أخبر ﷺ أنها من كلام الله سبحانه وتعالى، فمن جحد شيئاً من ذلك فقد كذب الرسول ﷺ ويكفر أيضاً من أنكر حكماً من الأحكام الثابتة في القرآن أو السنة، فيكفر كل من أنكر فرضية الصلاة أو الزكاة أو حرمة الزنا أو الربا أو السرقة أو ادعى زيادة ركعة في إحدى الصلوات قاصداً، أو جواز الصلاة بدون وضوء ونحو ذلك[1].

قد بينا أن شهادة لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله هي المدخل للإسلام، وأن اعتقادها والإقرار بها قولاً وعملاً بشطريها هو الواجب للدخول في الإسلام، وإن من أخل بشطر من شطريها لم يكن مسلماً، وأن السنة النبوية ليست شيئاً جانبياً بالنسبة للإسلام، إنما هي أصل من أصوله، فإننا لسنا مخيرين في الإيمان بها والالتزام والعمل بمقتضاها، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾ (الأحزاب: ٣٦)[2].

فهي عقيدة وأصل من أصول ديننا وعقيدتنا، فلنبادر بتصحيح عقيدتنا ومسارنا إلى الله تعالي قبل فوات الأوان.

---

(١) كتاب الإيمان ـ أركانه ـ حقيقته ـ نواقضه أ. د/ محمد نعيم ياسين ص ١٥٢.

(٢) المصدر السابق ص ١٥٢.

أهمية السنة ومكانتها في الإسلام

التشريع كله وحي من الله تعالى:

التشريع الإسلامي كله وحي من عند الله، إما أن يكون وحيا إلهياً بالمعنى واللفظ وذلك كالقران الكريم فهو وحي معجز بألفاظه متعبد بتلاوته، وإما أن يكون وحياً إلهياً بالمعنى دون اللفظ، فلا يتعبد بتلاوته وذلك يتمثل في سنة رسولنا محمد ﷺ فإن لفظ الحديث من كلامه وَإن كان معناه وحياً لقوله تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ (النجم: ٣، ٤).

فالله وحده هو المشرع، ورسوله هو المبلغ المبين لشرعه قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۝٤٤ ﴾ (النحل: ٤٤). وقال: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ۝٤٥ ﴾ (الأنبياء: ٤٥).

وقال تعالى: ﴿ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ﴾ (يونس: ١٥).

إذن فكلام النبي ﷺ في دين الله كله وحي، وقد أوجب الله طاعة رسوله وأنها من طاعته، قال تعالى: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ (النساء: ٨٠).

وجعل حكمه ﷺ عن الهام منه تعالى قال سبحانه: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ﴾ (النساء: ١٠٥).

فلا شرع إلا ما شرع الله أو ما شرع رسوله، ولهذا كان للتشريع مصدرين أساسيين هما الكتاب والسنة[1].

---

(١) تاريخ التشريع الإسلامي ـ بتصرف مناع القطان ص ٣٤.

وقد ورد التصريح في أحاديث كثيرة منها:

قوله ﷺ: «أوحى إلي أنكم تفتنون في قبوركم»[١].

وقوله: «إن الله أوحي إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغى أحد على أحد»[٢].

قوله ﷺ: «إن روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستوفي رزقها وأجلها فاتقوا الله وأجلوا في الطلب، خذوا ما حل ودعوا ما حرم»[٣].

ونزول جبريل عليه السلام في صورة بشرية معلماً بالوحي كما في حديث الإيمان والإسلام والإحسان، وفي آخره: «فإنه جبريل أتاكم يعلمكم أمور دينكم»[٤].

ومما يدل على ذلك حديث البراء بن عازب أنه قال: إن رسول الله ﷺ قال: «إذا أخذت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن ثم قل اللهم إني أسلمت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك وألجات ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجي منك إلا إليك آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت، واجعلهن آخر كلامك، فإن مت من ليلتك مت وأنت على الفطرة، قال فرددتهن لأتذكرهن فقلت آمنت برسولك الذي أرسلت فقال ﷺ: «قل آمنت بنبيك الذي أرسلت»[٥].

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح (١٣/٢٥١).

(٢) صحيح مسلم رقم (٢٨٦٥).

(٣) أخرجه البغوي في شرح السنة (١٤/٣٠٥) (ح ٤١١٢).

(٤) البخاري مع الفتح (١/١٥٧) (ح ٥٠).

(٥) صحيح البخاري، باب إذا بات طاهراً (٨/٣٠٦) دار الحديث القاهرة ـ ومسلم بشرح النووي، باب: الدعاء عند النوم (١٧/٣٢، ٣٣).

إن سبب إنكاره ﷺ ورده اللفظ وتصحيحه إياه، أن هذا ذكر ودعاء فينبغي فيه الاقتصار على اللفظ الوارد بحروفه فقد يتعلق الجزاء بتلك الحروف، ولعله أوحى إليه ﷺ بهذه الكلمات فيتعين أداؤها بحروفها[١].

ما صدر عن النبي ﷺ بغير قصد التبليغ:

أما ما صدر عن النبي ﷺ بغير قصد التبليغ، ومن ذلك أجتهاده ﷺ، وما صدر عنه ابتداء من غير سابق وحي، وهذا القسم نوعان:

النوع الأول:

أن يوافقه عليه الوحي ويقره عليه فيصبح حينئذ بمنزلة الوحي وفي حكمه من حيث الحجية والاعتبار ووجوب العمل به، وتعرف الموافقة والإقرار له بعدم التعقيب عليه بالمخالفة وعدم الإنكار عليه، وعدم نزول حكم يناقضه، لأن الوحي لا يتركه بلا تعقيب إذا كان ما صدر عنه خلاف مراد الله، فإن الوحي لا يقر على ما لم يرضه الله دينا لعباده.

قال تعالي:

﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ (الحاقة: ٤٤ ـ ٤٧).

يقول تعالي: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا ﴾ أي محمد ﷺ لو افترى علينا فزاد في الرسالة أو نقص منها أو قال شيئاً من عنده وليس كذلك لعاجلناه بالعقوبة[٢].

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، باب الدعاء عند النوم (١٧/٣٣).

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٤/٤١٧، ٤١٨).

ومفاد هذا القول من الناحية التقريرية أن محمداً ﷺ صادق فيما يبلغه، وأنه لو تقول بعض الأقاويل التي لم يوح بها إليه، لأخذه الله فقتله على هذا النحو الذي وصفته الآيات، ولما كان هذا لم يقع فهو لابد أنه صادق.

وهذا المعني يلقي ظلالاً فيه رهبة وفيه هول، وفيه حركة الأخذ باليمين وقطع الوتين، وهي حركة عنيفة هائلة مروعة، وراءها إيحاء بجدية هذا الأمر الذي لا يحتمل تسامحاً ولا مجاملة لأحد كائناً من كان ولو كان هو محمد الكريم عند الله الأثير الحبيب[1]، وآخر الآيات: ﴿ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ أي فما يقدر أحد منكم على أن يحجز بيننا وبينه إذا أردنا به شيئاً من ذلك، والمعنى في هذا بل هو صادق بار راشد لأن الله عز وجل مقرٌ له فيما يبلغه عنه ومؤيدٌ له.

وقد قال عمر بن الخطاب بسبب هذه السورة قال: فوقع الإسلام في قلبي كل موقع، فكانت هذه السورة من جملة الأسباب التي جعلها الله تعالي مؤثرة في هداية عمر بن الخطاب رضي الله عنه[2].

ونعود إلى الكلام عن موضوعنا بأن الوحي لا يقر الرسول ﷺ على أمر لا يرضى الله عز وجل، لأن الله قد أمرنا بإتباعه في جميع ما يصدر عنه وما يهدي إليه، وأنه القدوة المطلقة والمثل الأعلى والهادي بالوحي، قال الإمام الشافعي: وما لم يكن فيه وحي فقد فرض الله في الوحي إتباع سنته ﷺ فمن قبل عنه فإنما قبل بفرض الله تعالى، قال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ (الحشر: ٧).

واحتج بن مسعود رضي الله عنه بالآية نفسها، وقال: إن من قبل عن رسول الله ﷺ فبكتاب الله قبل، فإن حكمه في وجوب إتباعه حكم ما ورد به الكتاب.

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب (٦/٣٦٨٩).

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٤/٤١٧، ٤١٨).

وحكم هذا النوع: أن له حكم الوحي وذلك لإقرار الوحي له، فيجب العمل به والتزامه، مع العلم أنه لن يتخلى الوحي أبداً عن تسديد الرسول ﷺ وتوجيهه كما سيأتي في النوع الثاني[1].

النوع الثاني:

أن يكون النبي ﷺ قد صار في اجتهاده أو ما صدر عنه ابتداء إلى خلاف الأولى فيرشده المولى عز وجل وينبهه إلى الأولى ويأمره بأتباعه، وحينئذ يجب العمل بالبديل الموحي به وترك خلاف الأولى فيكون الاحتجاج في تلك الحالة بعدم التقرير عليه وبالتنبيه الذي جاء عقبه[2].

والأمثلة على ذلك قليلة منها:

أ - اجتهاده ﷺ في قبول الفداء من أسرى بدر بعد استشارته لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما فأنزل الله تعالي: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ (الأنفال: ٦٧، ٦٨)[3].

ب- صلاته ﷺ على المنافق عبد الله بن سلول إكراماً لابنه عبد الله بن عبد الله الذي أبلي في الإسلام بلاء حسناً ودرأً للفتنة وتأليفاً لأتباعه على الإيمان فأنزل الله تعالي: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾﴾ (التوبة: ٨٤).

---

(١)، (٢) حجية السنة أ. د/ الحسين شواط، ص ٣٨.

(٣) سنن الترمذي (٤/١٨٥، ١٨٦) (ح ١٧١٤).

جـ - إعراضه ﷺ عن ابن أم مكتوم الصحابى الضرير الذى جاءه وهو مشغول بعرض الإسلام على زعماء قريش راجياً إيمانهم فأنزل الله تعالي: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝١٢﴾ (عبس: ١-١٢).

بهذا المبحث يتبين أن جميع ما صدر عن النبي ﷺ من السنة بقصد التبليغ عن ربه هو وحي من عند الله تعالي، وأن ما صدر عنه بغير قصد التبليغ عن الله وأقره الوحي عليه كان بمنزلة الوحي وله حكمه، وجميع ذلك حجة على العباد يلزمهم العمل بمقتضاه، أما ما لم يقره الوحي عليه فإن الاحتجاج يكون بالتنبيه الذي جاء به الوحي عقبه، فتوجب العمل بالجميع لأن الوحي لا يتخلى عن النبي ﷺ ولا يتركه بلا تسديد[1].

وبذلك نكون قد علمنا أن السنة هي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، وتلي مرتبتها كتاب الله، فقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى عن نبيه كما سبق وبينا بقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ (النجم: ٣، ٤).

وأمرنا بإتباعه وطاعته بقوله: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ (النساء: ٥٩).

وحذرنا من مخالفته بقوله: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٦٣﴾ (النور: ٦٣).

---

(١) حجية السنة، أ.د/ الحسين شواط، ص ٣٩.

وجعل ذلك من أصول الإيمان: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ (النساء: ٦٥).

ولم يجعل لنا الخيرة أمام حكمه: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾ (الأحزاب: ٣٦).

وفرض طاعته لأنها من طاعة الله: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ (النساء: ٨٠).

وكل هذه الآيات تقطع دابر الشك في وجوب الأخذ بالسنة في الأدلة الشرعية، واعتبارها في المقام الثاني بعد القرآن لمكانتها في نفس المؤمن والأحاديث الدالة على أن السنة أخت القرآن تماثله في الحجية والاعتبار كثيرة نذكر منها: ما قاله رسول الله ﷺ: **«كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قالوا: يا رسول الله ومن يأبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى»**[1].

وقال ﷺ: **«من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله»**[2].

وقد تثبت المسلمون في نقلها بصورة لم يعهد لها نظير في تاريخ الأديان والشرائع، وقد بذلت فيها جهود مضنية لفحص ما نسب إلى رسول الله ﷺ وتمييز الصحيح من غيره[3] وسوف أوضح ذلك في الأبواب التالية تباعاً إن شاء الله تعالى.

---

(١) البخاري مع فتح (١٥/١٧٤) (ح ٧٢٨٠).

(٢) البخاري مع فتح (١٥/١٧٤) (ح ٧٢٨).

(٣) تاريخ التشريع، مناع القطان، ص ٨٨، ٨٩.

وجوب طاعة الرسول ﷺ طاعة خاصة.

السنة مع القرآن:

السنة مع القرآن على ثلاثة أوجه:

أحدها: أن تكون موافقة له من كل وجه، فيكون توارد القرآن والسنة على الحكم الواحد من باب توارد الأدلة وتضافرها.

الثاني: أن تكون بياناً وتوضيحا لما أريد بالقرآن وتفسيراً له.

الثالث: أن تكون موجبة لحكم يسكت القرآن عن إيجابه، أو محرمة لما سكت عن تحريمه[1].

ولا تخرج السنة عن هذه الأقسام فإن السنة لا تعارض القرآن بأي وجه من الوجوه، وقد أجمع العلماء على أن السنة قد تأتي بأحكام لم يثبتها القرآن ولم ينفها وأن ما كان منها زائداً على القرآن، فيكون حكماً سكت القرآن الكريم عن إيجابة أو تحريمه، وهذه الأحكام لا يمكن أن يكون فيها حكماً يعارض شيئاً من القرآن الكريم البتة، لأن القرآن والسنة كلاهما وحي من الله تعالى، فيستحيل أن يعارض الوحي نفسه أو يناقض بعضه. ولله تعالى أن يأمر رسوله ﷺ بتبليغ أحكامه للناس من أي طريق سواء كان ذلك بالكتاب أو السنة، وذلك جائز شرعاً وعقلاً وواقع فعلاً، وحجة شرعية ملزمة[2].

---

(١) تاريخ التشريع، مناع القطان بتصرف ص ٩١: ٩٣، وحجية السنة بتصرف، أ. د/ الحسين شواط ص ٢٤٨، ٢٤٩.

(٢) تاريخ التشريع، مناع القطان بتصرف ص ٩١: ٩٣، وحجية السنة بتصرف، أ. د/ الحسين شواط ص ٢٤٨، ٢٤٩.

فما كان منها زائداً على القرآن فهو تشريع مبتدأ من النبي ﷺ تجب طاعته فيه، ولا تحل معصيته، وليس هذا تقديماً لها على كتاب الله لأنها كما قدمنا ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾، فوجوب طاعته في هذا امتثال لما أمر الله به من طاعة رسوله، ولو كان رسول الله ﷺ لا يطاع في هذا القسم لم يكن لطاعته معنى، وسقطت طاعته المختصة به[1].

وإنه إذا لم تجب طاعته إلا فيما وافق القرآن لا فيما زاد عليه، لم يكن له طاعة خاصة تختص به، وقد قال الله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ (النساء: ٨٠).

فكيف يمكن لأحد من أهل العلم ألا يقبل حديثا زائداً على كتاب الله ما دام حديثاً صحيحاً فمثلاً: لا يقبل حديث تحريم المرأة على عمتها، ولا على خالتها، ولا حديث التحريم بالرضاعة لكل ما يحرم من النسب، والأمثلة على ذلك كثيرة.

ومما لا شك فيه أن في السنة أشياء لا تحصى ـ كثرة ـ لم ينص عليها القرآن كتحريم الحمر الأهلية، وكل ذي ناب من السباع، وألا يُقتل مسلم بكافر، إلى غير ذلك...، فلا مناص من الاعتراف بأحكام في الشريعة لم تثبت إلا في السنة وحدها[2].

فنجد بعد ذلك أن سنة رسول الله ﷺ ثروة خصبة في بيان مجمل القرآن وتخصيص عامه، وتقييد مطلقه، وتشريع أحكام لم يأت بها نص في القرآن وهي

---

(١) تاريخ التشريع، مناع القطان بتصرف ص ٩١:٩٣، وحجية السنة بتصرف، أ. د/ الحسين شواط ص ٢٤٨، ٢٤٩.

(٢) تاريخ التشريع، مناع القطان بتصرف ص ٩١:٩٣، وحجية السنة بتصرف، أ. د/ الحسين شواط ص ٢٤٨، ٢٤٩.

مادة غزيرة تغذي الفقه الإسلامي، وتنمي أحكام شريعته، وهي أولاً وآخراً وحي من عند الله تعالى، ومن قبل عن رسول الله ﷺ فعن الله قبل لأن الله افترض طاعة رسوله، والله وحده هو المشرع فلا شرع إلا ما شرع الله أو ما شرع رسوله، فلا يحل لمسلم علم ما في الكتاب وما في السنة أن يقوم بخلاف واحد منهما[1].

(١) تاريخ التشريع ـ مناع القطان، ص ٢٧٢.

obeikandl.com

القول بالإكتفاء بالقرآن

إن هذه الشبهة تخدع الكثيرين، لما للقرآن من منزلة في نفوس الناس فيُكثر أعداء الإسلام والسنة من القول بأن القرآن كاف ـ شاف ـ واف وأنهم ليسوا بحاجة إلى السنة، ويدللون على ذلك بقول الله تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ (الأنعام: ٣٨). وقوله عز وجل: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ (النحل: ٨٩).

وقد أشار الرسول ﷺ إلى قوم مكابرين محذراً منهم، فيقول: **«ألا ألفينَ أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه الأمر مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول: لا أدري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه»**[1].

وفي رواية أخرى: أن رسول الله ﷺ قال: **«ألا إنني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان متكئ على أريكته يقول: عليكم بالقرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه»**[2].

وفي هذا الحديث تحذير من الرسول ﷺ من مخالفة السنن التي سنها مما ليس له في القرآن ذكر، على ما ذهبت إليه الخوارج والروافض فإنهم تمثلوا بظاهر القرآن، وتركوا السنن التي قد تضمنت بيان الكتاب فتحيروا وضلوا، وقد نهجوا ذلك النهج لخدمة مبادئهم الباطلة وأراد بقوله «متكئاً على أريكته» أنه من أصحاب ألترفه والدعة الذين لزموا البيوت، ولم يطلبوا العلم من مظانه[3].

---

(١) رواه أحمد تحقيق الألباني: (صحيح) انظر حديث رقم: (٧١٧٢) في صحيح الجامع.

(٢) رواه أبو داود، حديث رقم (٤٦٠٤).

(٣) تفسير القرطبي (١/ ٣٨).

وقد حذر الشاطبي منهم فقال: إن الاقتصار على الكتاب رأي قوم لا خلاق لهم، خارجين عن السنة، إذ عوّلوا على ما بينت عليه من أن الكتاب فيه بيان كل شيء فطرحوا أحكام السنة، فأداهم ذلك إلى الانخلاع عن الجماعة وتأويل القرآن على غير ما أنزل الله تعالى[١].

وقد دل الحديث على معجزة للنبي ﷺ فقد ظهرت فئة في القديم والحديث تدعو إلى هذه الدعوة الخبيثة، وهي الاكتفاء بالقرآن عن الحديث، وغرضهم هدم نصف الدين، أو إن شئت قلت: تقويض الدين كله لأنه إذا أهملت الأحاديث والسنن فسيؤدي ذلك ـ ولا ريب ـ إلى استعجام كثير من القرآن على الأمة وعدم معرفة المراد منه، وإذا أهملت السنة واستعجم القرآن فقل: على الإسلام العفاء[٢].

خاصة ونصوص الكتاب هي تراكيب لغوية جاءت بلسان العرب وجرت على أساليبهم في التعبير، قال تعالى: ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ (الدخان: ٥٨).

وقال: ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ (الزمر: ٢٨). فينبغي لمعرفة كثير من المعاني من معرفة طريقة العرب في التعبير عما في ضمائرهم[٣].

كيف؟

كيف يستغنى بالقرآن عن السنة، وفي القرآن من المجمل ما يحتم أن يكون بيانه، من السنة؟

---

(١) انظر الموافقات (٤/١٢٠).

(٢) دفاع عن السنة د / محمد محمد أبو شهبة بتصرف ص ١٥، ١٦.

(٣) الواضح في أصول الفقه، د/ محمد سليمان عبد الله الأشقر، ص ١٧٢، دار الإسلام، دار النفائس، عمان، الأردن.

فإن القرآن لا يستغنى عن السنة، وهي مبينة ومفصلة لمجملاته، لأن فيه لوجازته كنوزا تحتاج إلى من يعرف خباياها فيبرزها، وليس القرآن مبيناً للسنة لأنها مبينة لنفسها، إذ لم تصل إلى حد الإعجاز والإيجاز، ولأنها شارحة له، وشأن الشرح أن يكون أوضح وأبين وأبسط من المشروح[١].

كيف؟

والقرآن والسنة شقيقان لا يفترقان، ولا يغني واحد منهما عن الآخر وهما من مشكاة واحدة ويستحيل أن نطبق أوامر الله ونتبع شرعه دون العودة إلى السنة.

وتتبين الحاجة الماسة للسنة في فهم مراد الله في القرآن وبيان العقيدة الصحيحة، وصفة العبادة الشرعية بتوضيح أن القرآن الكريم قد أشتمل على آيات محكمات، وأخر متشابهات، وتضمن أحكاماً وعبادات مجملة

وأخرى عامة، وأخرى مطلقة، وأخرى مشكلة ومبهمة، وهذه كلها لا يمكن فهمها إلا بالسنة المطهرة، ولا يمكن تطبيقها وترجمتها إلى عمل إلا بالرجوع إلى قول النبي ﷺ وفعله فيها[٢].

بيان السنة للقرآن:

قال تعالى: ﴿ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ (النحل: ٤٤).

فمما بين ﷺ وفصل، قال تعالى: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ (البقرة: ٤٣).

---

(١) حجية السنة، أ.د/ الحسين شواط ص ٢٦٦، ٢٦٧.

(٢) المصدر السابق ص ٢٦٧.

وقال: ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾ (البقرة: ٤٣).

وغيرها من الآيات الكريمات، ففي القرآن الكريم كلامٌ من عدة أوجه عن الصلاة، صلاة الأمن، صلاة الخوف، وصلاة الجنازة، وفيه الحديث عن القبلة، والاتجاه إلى البيت الحرام، والمساجد وعمارتها، وفيه الأمر بالمحافظة على الصلاة في أوقاتها، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ ﴾ (النساء: ١٠٣).

وفيه الحث على الخشوع في الصلاة: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ ﴾ (النساء: ١٠٣)، وفيه التحذير من تأخيرها عن وقتها:

﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ﴾ (الماعون: ٤، ٥).

وهنا يتساءل الإنسان عن هذه الصلاة التي لها أوقات، ولها قبلة، وتصلى في جماعة، ولو في معركة حربية مع المشركين، وتبني لها المساجد ويتطهر لها، يتساءل الإنسان: أين التوصيف الدقيق لها؟ فما عددها؟ وما هي أوقاتها؟ وكيف تؤدى؟ بل ويتساءل عن دقائقها، فما معنى قول الله تعالى: ﴿ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ أسئلة كثيرة وكثيرة ناشئة عن آيات القرآن الكريم، فنجد إجابتها في السنة النبوية، فنجد فيها توصيفا دقيقاً يتناغم مع القرآن الكريم، بكل دقة ويتوافق معه بكل عظمة حتى إن القارىء للكتاب والسنة لابد وأن يقول: انهما من مشكاة واحدة.

فحينما نقرأ القرآن الكريم: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ (البقرة: ٤٣)[1].

---

(١) دفع الشبهات عن السنة النبوية، أ.د/عبد المهدى عبد القادر عبد الهادى ص ٣٨، ٤٠، مكتبة السنة.

نجد بياناً لهذا المجمل في السنة بكل توضيح فالصلوات خمس في اليوم والليلة، ونجد عدد ركعات كل صلاة، وحقيقة الركعة، وأنها مؤلفة من قراءة وركوع ورفع وسجود أول وجلوس وسجود ثان مع اطمئنان في تأدية الأركان، وما هي أركان الصلاة وسننها ومستحباتها وغير ذلك[١] ونجد في السنة توضيحاً كاملاً لقوله: ﴿ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ ففيها أحكام صلاة الجماعة، ومَن أولى بالإمامة، ومتى يجهر الإمام ومتى يسر، وغير ذلك كثير.

حتى إن الإنسان لا يحتاج بعد توضيح السنة شيئاً قط، فقد وضح الأمر كل الوضوح، وكذلك الزكاة قال تعالى: ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ فهل بين القرآن الكريم الأموال التي يجب فيها الزكاة، والمدة التي تجب فيها الزكاة، والمقدار الذي يجب فيه الزكاة، والمقدار الذي يجب أن يخرجه صاحب المال، إن القرآن لم يبين ذلك، فبينت السنة كل ذلك[٢].

كيف؟

نقول يكفينا القرآن ويغنينا عن السنة، وكل هذه أركان الإسلام وفروضه فقد بينت السنة كذلك تفاصيل الحج والجهاد، والبيوع، والنكاح، والطلاق، والرضاعة، والنفقات، جاءت التشريعات في هذه الأمور وغيرها مجملة في القرآن الكريم[٣].

قال تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ (المائدة: ٣٨)، ولم يبين لنا ما هي السرقة التى توجب

---

(١) دفع الشبهات عن السنة النبوية أ.د/ عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي بتصرف، ص ٣٨-٤١.

(٢) المصدر السابق بتصرف، ص ٣٨-٤١.

(٣) المصدر السابق بتصرف، ص ٤١.

القطع؟ وما النصاب الذي يحد فيه السارق؟ وما المراد بالأيدي؟ ومن أي موضع يكون القطع؟ فبينت السنة كل ذلك.

كيف؟

نعبد الله كما أمرنا ونطيع أوامره بدون بيان السنة؟ وقد قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ (الذاريات: ٥٦)، كيف يقوم الإنسان بوظيفته في الأرض منذ أن عهد الله إليه بالخلافة في الأرض وقد وضع لها شروطاً خاصة وجعلها سبحانه وتعالى عبادة قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (البقرة: ٣٠) وفي نفس الوقت: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ كيف، وكيف، وكيف !!!.

أما قوله تعالى: ﴿ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ (النحل: ٨٩)، فإن الكتاب تبيانٌ لكل شيء فعلاً، لكن ليس تفصيلاً، وإنما باشتماله على كليات الإسلام وأصوله، وباشتماله على المصادر التي تبين وتفصل، والأمر بإتباع هذه المصادر وهي:

السنة - لقوله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ (الحشر: ٧).

الإجماع - لقوله تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ (النساء: ١١٥).

القياس ـ لقوله سبحانه: ﴿ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾ ﴾ (الحشر: ٢)[1].

---

(١) دفع الشبهات عن السنة النبوية، أ.د / عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي بتصرف ص ٤٢.

وأما قوله: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾، هل الكتاب هنا هو القرآن إن سياق الآية: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾ (الأنعام: ٣٨).

لو كان الكتاب هو القرآن لكان القرآن مشتملاً على شئون جميع المخلوقات ومقدّراتها وأرزاقها، الطيور في الهواء، وأمم البحار من أسماك وغيرها، وأمم أكبر من الوحوش وغيرها، ولما لم يكن القرآن مشتملاً على ذلك، ثبت أن المراد بالكتاب في قوله تعالى: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾، إنما هو اللوح المحفوظ[1] كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ (هود: ٦).

عصمة النبي ـ ﷺ:

كيف نتبع القرآن وحده وكيف لا نتبع الرسول في سنته، وقد عصم الله تعالى رسوله ﷺ من جميع ما يخل بتبليغ الرسالة؟

لقد دل الشرع على أن نبينا محمد ﷺ وسائر الأنبياء معصومون من أي شيء يخل بتبليغ ما أرسلهم الله به إلى أممهم، بحيث يؤدون الأمانة على وجهها ويبلغون رسالات ربهم كما أوحيت إليهم دون أدنى خلل.

فقد عصم الله رسوله ﷺ وحماه من أي شيء يمكن أن يخل بتبليغ رسالته، فهو معصوم من كتمان الرسالة أو شيء منها، ومعصوم من الكذب في دعواها، ومعصوم من الشك في أي جزئية منها ومعصوم من التقصير في تبليغها ومعصوم

---

(١) دفع الشبهات عن السنة النبوية، أ.د/ عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي بتصرف ص ٤٢.

من تلبيس الشيطان عليه ومن تسلطه على خواطره كما أنه ﷺ معصوم من السهو والخطأ في أقواله وأفعاله البلاغية التي يقصد من خلالها تبليغ الشرع للأمة، وذلك بدلالة المعجزة.

فإن الله تعالى أعطاه ﷺ القرآن الذي تحدى به فصحاء العرب وبلغاءهم فعجزوا عن المعارضة، فثبتت بذلك رسالته وأنه مبلغ عن ربه، فهو بالتالي معصوم من الخطأ في التبليغ عن الله تعالى، ولو جاز عليه شيء من السهو أو الخطأ في البلاغ لأدى ذلك إلى إبطال دلالة المعجزة وذلك محال[1].

إن الله تعالى شهد له بالبلاغ، وأنه مستمسك بالذي أوحى إليه، وأنه يهدي إلى صراط مستقيم، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ ﴾ (الشورى: ٥٢).

وأقسم سبحانه وتعالى وقال: ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ (النجم: ١-٤).

وأخبرت المعجزة نفسها أنه يستحيل عليه أن يزيد أو ينقص أي شيء في الشرع، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ (الحاقة: ٤٤-٤٦). وكل ما يصدر عنه في مجال التشريع هو من عند الله قرآنا كان أو سنة.

وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ (المائدة: ٦٧).

---

(١) حجية السنة، أ.د / الحسين شواط، ص ٢٦٤.

واضح هنا أن الله عصمه وحماه من كل ما يخل بتبليغ الرسالة صغر أو كبر وقد حمى الله تعالى رسوله من إضلال أعداء الإسلام قال تعالى:

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ﴾ (النساء: ١١٣). فلا يستطيعون التأثير على دينه أو تغيير حرف مما أوحى إليه.

قال ﷺ: «**إن لكل منكم قريناً**» فقالت عائشة: حتى أنت يا رسول الله، قال: «**حتى أنا ولكن الله أعانني عليه فأسلم**»[1]، فهو معصوم حتى من وسوسة الشيطان[2].

وفي آخر زمنه شهد الله تعالى له: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ (المائدة: ٣).

---

(١) صحيح مسلم (٤/ ٢١٦٧، ٢١٦٨) (ح ٦٩).

(٢) حجية السنة، أ.د / الحسين شواط، ص ٢٦٥ -٢٦٦.